الأساطير والحكايات الشعبية

تأليف: سير جورج لورانس جوم
ترجمة: دكتور أحمد مرسى

ان أول ما نحتاجه * هو أن نعرف بالأساطير والحكايات الشعبية والخرافة ، وسوف يظهر لنا ان الميراث الادبى يحتوى على ثلاثة أقسام منفصلة . وأنا أقترح تعريف هذه الأقسام بأن نطبق عليها التعبيرات المستعملة بالفعل : **فالأسطورة تنتمى للمراحل البدائية الأولى للفكر الانسانى وهى تفسير معترف به لبعض الظواهر الطبيعية أو بعض (المشاكل) المنسية او المجهولة والتى تتميز بنسبتها للانسان أو لحدث عميق التأثير .**

اما الحكاية الشعبية قد عاشت وسط بيئة ثقافية اكثر تقدما من المرحلة السابقة وهى متصلة بأحداث وأفكار فى الأزمنة القديمة وموضوعها تجارب وأحداث شخصيات انسانية مجهولة .

وأخيرا الخرافة متعلقة بشخصية تاريخية أو مكان أو حدث بذاته . وكل هذه تعريفات جديدة

(*) فصل من كتاب Folklore as an Historical Science تأليف Sir George L. Gomme الصادر عام ١٩٠٨ وهذا الفصل من ص ١٢٩ – ١٥٣ .

السماء والأرض زوجان

والشبه القريب بين هذه القصة وقصة (كرونوس)قد أشير اليه فى مناسبات كثيرة ولكن أية قصة اغريقية تستحق دائما أن نرددها « قبل بداية كل شيء أوجدت الارض السماء . وفيما بعد أصبحت السماء (مذكرا) زوجا للأرض وانجبا اطفالا كثيرين . وأصبح بعض هؤلاء آلهة للعناصر المختلفة ، ومن ضمنهم (أوقيانوس وهيبريون أو الشمس) وكان أصغر الأولاد هو (كرونوس) ذا التفكير الملتوى والذى كان يكره أباه العظيم . وكان أطفال السماء والأرض يختفون فى كهوف الارض ، وكانت الأرض وأولادها كارهين لهذا . وأخيرا تآمروا جميعا ضد والدهم السماء واستعانوا بأمهم فى مؤمراتها وأنتجت لهم الحديد وتوسلت لأولادها أن ينتقموا للمظالم التى حاقت بها . وانتابهم الخوف جميعا فيما عدا كرونوس الذى صمم على فصل والديه واستطاع أن يحقق غرضه بسلاحه الحديدى . وفرح كل الاخوة ما عدا « أوقيانوس » الذى ظل على ولائه لابيه ولكى نوضح قيمة قصة بداية الخليقة فى صورتها القادمة من الهند ، ولكنى لن أكتفى بايرادها لمجرد رقتها وطرافتها .

المرأة خليط من كل الأشياء

فى البداية عندما بدأ توشترى فى خلق المرأة وجد أنه استنفد كل ما لديه من مادة فى صنع (أو فى خلق) الرجل وأنه لم يعد لديه أى مواد صلبة . ولكى يتخلص من مشكلته وبعد تأمل عميق أخذ من القمر استدارته وأخذ من الزواحف التواءها ، وأخذ من النباتات المتسلقة قدرتها على التعلق ، وأخذ من الحشائش ارتعاشها ، وأخذ من الأغصان رقتها ، ومن الأزهار تفتحها ومن الأوراق خفتها ومن خرطوم الفيل مرونته ومن الغزلان نظراتها ، ومن خلايا النحل ضجيجها ، ومن أشعة الشمس بهجتها ، ومن السحب دموعها ، ومن الرياح عدم ثباتها ، ومن الفرس جموحها ، ومن الطاووس خيلاءه ، ومن الببغاء رقة صدره ، ومن الحجر صلابته ، ومن العسل حلاوته ، ومن النمر قسوته ، ومن النار بريقها الدافىء ، ومن الثلوج برودتها ، ومن الطيور صخبها ، ومن الحمام هديله ، ومن الكركى نفاقه ، ومن الكلب وفاءه ، وخلط كل هذه الصفات معا ،وصنع المرأة وأعطاها للرجل . ولكن بعد أسبوع جاءه الرجل وقال له (يا الهى هذه المخلوقة التى أعطيتنى اياها تجعل حياتى جحيما ، فهى تتكلم دون انقطاع ،وتغيظنى ولا تتركنى فى حالى أبدا ، وهى تطلب منى الاهتمام بها دائما ، وتستغرق كل وقتى وتبكى بلا سبب، وتميل للكسل ،لذلك جئت لأردها اليك حيث أنى لا أستطيع العيش معها) . ووافقه توشترى وأخذها منه وبعد أسبوع آخر جاءه الرجل مرة أخرى وقال (يارب انى أجد حياتى قد أصبحت خالية منذ أن رددت لك هذه المخلوقة ، فقد تعلقت بذاكرتى كيف كانت ترقص وتغنى لتسليني ، وكيف كانت تنظر الى من تحت أهدابها وكيف كانت تلعب معى وتتعلق بى ، وكانت ضحكتها موسيقى ، وكانت جميلة ، ورقيقة الملمس ولكل هذا أطلب منك أن تعطينى اياها مرة أخرى)

وقال توشترى ليكن وأعطاها له مرة أخرى .وبعد ثلاثة أيام فقط جاءه الرجل مرة أخرى وقال يا الهى أنا لا أعرف ما العمل ولكنى قررت أنها عبء أكثر منها مسلاة لى ، ولذا فاتوسل اليك أن تأخذها مرة أخرى ، ولكن توشترى قال « اذهب عنى وابتعد ، فلن أستمع اليك مرة أخرى ويجب أن تحاول ترويضها » وقال الرجل : ولكنى لاأستطيع العيش معها . وأجابه توشترى ، لكنك لم تستطع العيش بدونها. وأدار ظهره للرجل وانشغل عنه . وقال الرجل ما الذى يجب عمله ؟ لانى لا أستطيع العيش لا معها ولا بدونها) .

زوجة من الأزهار

وهذه الاسطورة على الاقل فيما يتعلق بجوهر وقائعها لها مرادف فى القصص الشعبى (الكلتى) وفى قصة (مابينوجى مات ابن ماشنوى) نجد كيف حددت (أريان رود) مصير ابنها الذى رفضت الاعتراف به وهو أنه لن يظفر أبدا بزوجة من الجنس الذى يسكن الارض حاليا وكيف أعلن (جوبديون) أنه بالرغم من هذا سيظفر بزوجته (وذهبا الى (مات ابن ماثنوى) واشتكوا له أفعال آريان رود وقال (مات) حسنا سنحاول أنا وأنت باستخدامنا السحر أن نخلق له زوجة من الازهار . ومن ثم اخذ أزهار الفار وأزهار البازلاء وأزهار المراعى ، وصنع منها حسناء هى أجمل وأرق ما رآه انسان ولا يستطيع الشك أن يتطرق الينا **أن هذا الجزء من الاسطورة الغالية ما هو الا أسطورة بدء خليقة مثله فى ذلك مثل الاسطورة الهندية ، وأن المفكرين المتباعدين المتوازيين ينتميان للمرحلة الزمنية**

زمام أرض حووا المقدسة» • وكان الكهنة يفتتحون المدرسة في الخريف وتستمر الدراسة من مطلع الشمس حتى منتصف الليل كل يوم لأربعــة أو خمسة أشهر متتالية • وكان الكاهن الاعظم يجلس بجوار الباب • وكانت واجباته تقضى بأن يقوم بتلاوة جزء من التاريخ ثم يتلوه الكهنة حسب مراتبهم • وفي الجانب الجنوبي كان يجلس أكبر الكهنة وأكثرهم علما » وكان واجبهـــم الاشراف على القاء الارث القديم بطريقـــة دقيقة وهنا نلاحظ أن المراجع الهندية الامريكية لقبائل الايروكوا تحكى عن كيفية القاء الزعيم للأساطير على الشعب في مكان دائرى مفتوح وسط الادغال حيث كان يوجد حجر كبير على شكل عجلة يخرج من تحتها صوت يروى قصة العالم القديم وكيف أصبح الناس الاوائل ما هم عليه الآن تتفق تماما مع كل ما سبق وكان الكاهن المستجد لدى هنود غيانا البريطانية يتلقى تعليمه عن تقاليد القبيلة كما أن ساحر قبيلة البورورو في البرازيل كان عليه أن يتعلم بعض الاغانى الكهنوتية ولغـــة الطيور والوحوش والأشجار •

وأنا لا أرغب في التوسع في هذا المجـال لأن العثور على أدلة ليس بالعملية الســـهلة نظرا للأسلوب الناقص الذى اتبع في تجميعها وتقديمها للدارس • وسجلات التاريخ المحـــلى ليست مقسمة الى فصـــول تبعا لطريقة التفكير المحلية الاصلية وانما طبقا للأســـلوب الفكرى المتحضر وبسبب هذا تصلنا الاساطير والعقائد في فصـــول مختلفة كما لو كانت غير مرتبطة ببعضها ؛ وتصلنا الأساطير **بعد تحليلها كما لو كانت مجرد تسلية نابعة من الخيال الفردى بدلا من اعتبارها أفكارا جدية للشعب في مجموعه عن عناصر الطبيعة التى اجتذبت انتبـاههم • وقـد** توصل المســـتر ج ـ أ • فارار لهذه النتيجـة الصحيحة بأســـلوب عملى ويبدو لى أن المستر جيفـــونز قد توصـــل لنفس النتيجة رغـــم بعض الخطوات غير الســـليمة الراجعة لعـــدم قدرته على التمييز بين الاسطورة والميثولوجيـا وأن مثل هذه الأخطاء تؤدى لخسارة ضخمة لميدان البحث العلمى • فهى تمنع من الوصول للنتائج التى كانت ستنبع من مراحل علمية سليمة في التطبيق كما أنها تخفى المعانى العميقة التى تنبع من كون آمال الانســـان تزيد عادة بكثير عن النتائج العملية المترتبة على الممارســـة الفعلية • فالشعر والفلسفة والصلوات والعبادة كلهـــا لا تصل للمثالية (المرجوة) ، وقد يثور بعدها السؤال : هل ما حققه الانسان ـ بالفعل ـ حضاريا عندما نقارنه بما حققه الانسان البدائى يوفر لنا أى أساس لتقدير الفارق بين ما حققه الانسان وآماله في أى عصر • ولو أن الانسان لم يقطع في كل هذه الابعاد الفكرية في أى زمن، أو أى مرحلة زمنية محددة لأمكن مع هذا استخدام الفـــارق بين ما حققتــه الحضارة والهمجيـــة كمقياس يحدد ما تحقق في الواقع والمثاليـــات المرجـــوة بشرط توفر المراجع العلمية اللازمـة لـــذا الغرض • ولو وضـــع علماء الفولكلور هذا في اعتبارهم كلما طلب منهم بحث الأساطير فانه سيوفر عليهم البحث في اتجاهات لا يمكن أن تؤدى للتقدم في أبحاث التاريخ البشرى •

والأسطورة البدائية لا تشتمل على كل ما يقع بالفعل تحت تعريف « الأسطورة » • ويجب أن ندخل ضمن ما يقع تحت هذا التعريف الأسطورة التى تكونت لتفسير أحد الطقوس أو الاحتفالات والتى نشأت في أزمنة سحيقة واستمرت لملاءمتها لدين معين أو عقيدة بعينها ولكن معناها والغرض منها قد طواه النسيان في غمار التطور الحضارى لمثل هـذه الأســـاطير وقد بحث Pausanias هو (هى) المصـــدر الرئيسى لانج أكثر من أى من الدارسين التطور وشرحه •

كما تشمل هذه الطبقة الثانوية من الاســاطير كل ما بنيت عليه النظم الميثولوجيـــة الكبرى • فالميثولوجيا الهنـــدوكية رغم كل المحاولات التى بذلت لوضعها في مقـــام الفكر البدائى الخلاق لا تصل الا لهذا الموقع الثانوى على أيدى أفضل شراحها • والديانة الفيدية قبلية في أسلوبهـــا وموقعها في المرحلة السابقة للميثولوجيا • أمـا « الرامايانا » و « الماهابهاراتا » فعلى النقيض من ذلك نجد « أنه يتضح فيها مظاهر لا تقبل الجدل للخروج عن العبادة البدائية لآلهة الفيدا وأيضا عن أصل أو أسس تدبيج الأساطير التى تكون الكتلة الكبرى للديانة الميثولوجية للهندوس » • وعلى هذا الاساس يمكن تمييز المرحلتين : ماقبل الميثولوجية والميثولوجية وفصلهمـــا عن الادب التقليدى الذى نبع من العصرين وهذا أمر هــام في تقسيم المراحل المختلفـة للارث التقليدى • وبمجرد أن نسلم بأن بداية الميثولوجيـــا يمكن تتبعها في جزء معين من الناس الذين ســـبق افتراض أنهم توصـــلوا لنظـــام ميثولوجى

وبهذا التسلسل نتوصل للقصة الشعبية . **فالقصة الشعبية مرحلة تلى الاسطورة من الناحية الزمنية . اى أنها الأسطورة البدائية بعد أن تزحزت عن مكانتها البدائية ، وقد أصبحت جزءا من حياة الشعوب مستقلة عن مظهرها القديم وعن غرضها الأصلى وذات معنى مختلف.** والواقع الاسطورى أو التاريخى قد أصبح غامضا أو نزل عن مكانته فى تاريخ حياة الشعب .ولكن الاسطورة تستمر خلال حنين الشعوب لتقاليد حياتها فى العصور الغابرة . فهم يحبون رواية القصة التى كان اسلافهم يقدسونها كاسطورة حتى بعد لأن فقدت أقدم وأهم معانيها .. وتكوينها الفنى الجديد النابع من السنين التى عاشتها والذى تكون عن مجهود عقلى متسلسل زمنيا مع اضافة حواش كثيرة لها عبر الاجيال قد ساعدها على الاستمرار . وبذا تطورت الى قصص الجان أو قصص الأطفال . وهى تروى للكبار ولكن ليست كعقيدة وانما كعقيدة كانت محورا للايمان فى الماضى ؛ كما أنها تحكى للاطفال وليس للرجال ، ولمحبى القصص العاطفية وليس للمتعبدين للغيب ورواتها هن الأمهات والمرضعات وليس الفلاسفة أو الكاهنات ، ومكانها فى المجتمعات العائلية المنزلية أو فى الحضانة وليس تحت ستار القداسة ويصور الدكتور ريفرز تأثير الظروف المتغيرة على مكانة الميراث الاسطورى تصويرا رائعا فى كتابته عن شعب التودا . فهذه القبيلة على حد قوله : « يجتاحها نسيان سريع لقصصهم الشعبية وخرافات آلهتهم (أى أساطيرهم) بينما نلاحظ أن مراسم احتفالاتهم ثابتة الى حد كبير ويبدو أنها ستحتفظ بطقوسها لفترة ما » . وقد أرجع الدكتور ريفرز هذا الى أثر التعامل مع شعوب أخرى . وهذه المعاملات لم يكن لها أى نتائج تبشيرية ولذا فانها لم تؤثر فى طقوسهم الدينية واحتفالاتهم وانما اتضح أثرها الى حد كبير فى مظهر تضاؤل اهتمامهم بقصص الماضى وبعبارة أخرى ومن واقع التعاريف التى سبق لى اقتراحها فان الاساطير البدائية للتودا قد انتقلت قطعا الى مكانة ثانوية كقصة شعبية بل ولم تصبح مكانتها على شىء من القوة وأصبح الدين مجرد طقوس ورموز .والأسطورة المتزحزحة عن مكانتها تحتفظ بكيانها احيانا بطريقة خاصة ولأسباب دينية فى اطارها القديم كعقيدة أو كجزء من الميراث التقليدى الذى ينتمى لأماكن مقدسة ترتبط بقيممقدسة وهذا هو ماحدث لأسطورةبداية الخليقة العبرية كما أنه حدث لبعض الأساطير المقدسة الهندوكية وربما حدث لبعض الأساطير المقدسة الاغريقية . وفى هذا الاطار ربما أصبحت الاسطورة مكتوبة وعندما يحدث هذا فان كل القداسة المميزة للتقاليد تنتقل للوثيقة المكتوبة .

وبذا نجد أن بوزانياس يقول لنا عن معبد ديميتير الواقع فى آركاديا أنه كانت تعقد فيه كل عامين احتفالات لما كانوا يسمونه « المآسى العظمى» وأنهم كانوا يخرجون كتابات معينة تحمل صيغة النصوص وعندما تتم قراءتها على النخبة المختارة تعاد الى موضعها فى نفس الليلة .. وفى الهند نجد بعض الحالات التى يتم فيها احتجاز أراض لرواية القصص فى احتفالات الآلهة ديفى . أما حكايات روما المكونة من أفراد يمتازون بدرايتهم بالميراث الدينى والمكلفة بالحفاظ على القواعد التقليدية الخاصة بالطقوس الدينية العامة والتى يجب لتنفيذها التمتع بقدر معين من العلم وتجعل الدولة ملزمة للحفاظ على مصالحها على ضمان وصول هذا العلم بطريقة أمينة وكل هذا وصفه موسين .

والآن انتقل للنوع الثالث من اقسام الارث التقليدى وهو الخرافة وهذه لا ينبغى الاطالة فيها فقد سبق أن أبرزنا مضموناتها بملاحظاتنا عن التاريخ والفن الشعبى وعن طبيعتها التى تجعلها تنتمى بالفعل للتاريخ . وفى بحثنا للخرافةيجب أن نبدأ بتحديد هل صفاتها تاريخية فى صفاتها غريبة عن التاريخ . ولو انها تاريخية فى صفاتها فيجب علينا بعد هذا أن نستخرج الاجزاء من الميراث التقليدى التى يمكن أن نتأكد منمشابهتها لتقاليد أخرى أو من واقع مضمونها أنها لا تنتمى للبطل التاريخى أو لعصر هذا البطل . أما اذا كانت غريبة عن التاريخ فيجب تحليل التفاصيل لمعرفة عناصر الثقافة التى تتضمنها . وفى الحالين ستخدم التقاليد غرضا وهذا الغرض يجبالوصول اليه . **فالتقاليد لا تربط نفسها بشخصيةتاريخية دون سبب . ولابد أن تكون هناك ضرورة** وفى حالة هيروارد فقد كانت الضرورة نابعة من وجود ثغرة ضخمة فى تاريخ بطل قومى . والتقاليد لا تحتفظ بتفاصيل الثقافة البدائية التاريخية دون سبب وفى الامثلة السابق ايرادها أوضحنا أنهذا السبب يرجع للرابطة القوية بين الفلاح غير المثقف فى يومنا وماضى اسلافه غير المثقفين . وبالطبع

أصول الموسيقى الشعبية المجرية

بقلم : لاجوس فارجياس
تلخيص وتعليق : أحمد آدم محمد

درج علماء الفولكلور المتخصصون في الموسيقى الشعبية بالمجر على أن يمدوا نطاق أبحاثهم الى ما وراء حدود هذه البلاد · وقد بدأ بارتوك وكودالى ، فى مطلع هذا القرن ، فى دراسة موسيقى الشعوب التى تعيش داخل نطاق حدود المجر · وقام كودالى بجمع الالحان الشعبية فى المناطق الواقعة شمال المجر ثم انقطع لدراسة تراث الشعبالمجرى وللدراسات اللغوية المقارنة ·
وسجل بارتوك مجموعةكبيرة من الأغانى الشعبية السلوفاكية والرومانية وصنفها تصنيفا علميا كاملا وبهذا وضع أساس مدرسة أوروبا الشرقية فى الدراسات الموسيقية المقارنة · ومن أهم أعماله كتابة النوتة الموسيقية لمجموعة بارى اليوغوسلافية ودراسةمنهجية للموسيقى الشعبية الصربية · ولم يكتف بارتوك بتسجيل الاغانى الشعبية المجرية والسلوفاكية والرومانية فحسب ولكنه جمع ألحانا شعبية من أقاليم بعيدة عن المجر · وقد وجد بين الاغانى العربية نماذجتطابق الاغانى الرومانية المعروفة باسم
والقت أبحاثه فى هذا المجال بعض الضوء على التاريخ القديم لهذا اللون من الغناء · **وانتهى بارتوك الى أن المقام ، وهو نغم عربى فارسى ، معروف عند أهالى رومانيا** · وحاول أن يجد بين مجموعاته الخاصة بأغانى أتراك الأناضول نغما مشتركا بينها وبين الأغانى المجرية وكان علماء الفولكلور المجريون يعتقدون أن الألحان المجرية القديمة تركية منغولية الأصل ·

وجدير بالذكر أن بارتوك قام بالجانب الأكبر من دراساته فى الموسيقى الشعبية قبل الحرب العالمية الاولى عندما كانت المجر تضم جماعات كبيرة من الشعبين السلوفاكى والرومانى وبعد توقيع معاهدة تريانون اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى لم يبق أحد من هذه الاقليات فى المجر ووجد بارتوك نفسه فى موقف لا يحسد عليه عندما أراد أن يتابع دراساته لموسيقى هذه الشعوب · يضاف الى ذلك توقف التعاون الذى كان قائما قبل الحرب العالمية الاولى لنشر المادة المجموعة وثمة اشارة الى هذا التعاون المثمر فى مجموعة بيهار التى نشرتها الأكاديمية الرومانية عام ١٩١٣ · ونشر بارتوك بين الحربين العالميتين كتبه عن الموسيقى الرومانية سواء على حسابه الخاصفى فينا أو بمعاونة بعض الاوساط العلمية الالمانية أما مجموعته عن الأغانى الشعبية السلوفاكية فانها لم تنشر على الاطلاق بين الحربين وظهر أول مجلد منها عام ١٩٥٩ ·

ومع ذلك فان علماء الفولكلور لم يتوقفوا عن